

بعد «النخيل» و«الإعصار» و«الطريق إلى كراتشي» و«الصالحية» و«الدروازة»

هيثم بوادي في «الفتار»: صمود أهل الكويت.. ماضٍ يعانق الحاضر

الانتقال بين فصول النص إذ تتم حركة الزمن مبهورة بسلاستها وانتقالاتها الموفقة، فشكلت ميزة للكاتب هيثم بوادي، في استرجاع ذهن القارئ إلى ما حواه الجزء الأول من الرواية. هناك الماضي الذي ترصده الشخصية ولا يستغرق إلا فترة قصيرة لتستعيد البطولات الثلاث في الجزء الثاني (من الفصل 4 إلى 20) وتستمد منه القوة، حين أخبرت لطيفة صديقته بأنها تقرأ قصة اسمها الفتار - أو ساحل لودان - السالمة القديمة، وكانت القصة توجد في إحدى السلاسل لمجلة العربي.

المقاربة بين الماضي والحاضر

استطاع الكاتب مقاربة ماضي الأحداث وحاضرها بهدوء وبدقات صغيرة تعتمد الاقتضاب والجملة القصيرة، وظل الكاتب مقتصداً وإن كانت حوارات المدرسات الثلاث تطلب من القارئ مشاركة الكاتب في التوتر والإحباط إلى رمزية «الضوء» التي كانت تتمحور حولها الرواية. زمن الرواية هو فترة الغزو الصدامي الغاشم ويحاول من خلاله استعادة تجربة المرأة البطلة والكويت الصامدة ويعيد التركيز على شخصية المرأة في الجزء الثاني من الرواية الذي يرصد فيه «الغزو العراقي» انتهاكات الجنود العراقيين للبيوت الكويتية ليكون وصفه واقعيًا لواقع الحياة وتحدياتها حينما نقل صورة لحياة المدرسات الثلاث خلال فترة الغزو، وما أفرق ذلك من نقص في المواد الغذائية وفي انقطاع التيار الكهربائي فكن يستنزون على هدي فتيلة سراج يدوي يعمل بالكبروسين والذي كانت صفائحه قد نفذت كوقود لطعامهن ولتدفئته.

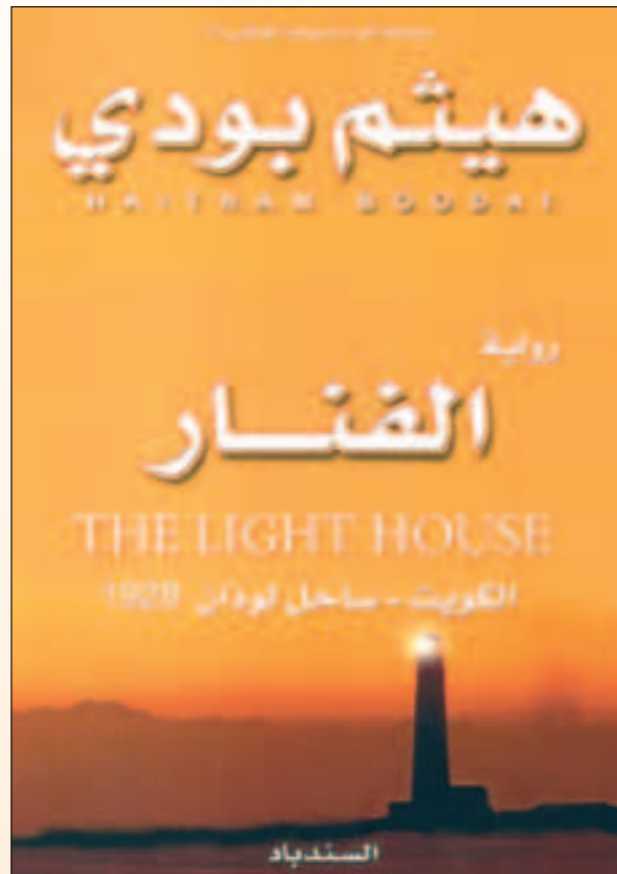
كانت الشخصيات الثلاث يمثلن أجيالاً مختلفة اجتمعن على محبة الوطن وشكلن نموذجاً للتكاتف وروح العود فكانت الرواية مبعبة في هذا الجزء بمعاناة البطولات - أهل الكويت - وحاول الكاتب أن يظهر أكثر من مرة إحساس «الكويتيين» بالخذلان من الشعارات الزائفة بعد الاحتلال وحلول العدوان واستخلاص الدروس من ذلك.

فجاء المشهد في الفصل 15 «قالت بثقة وهي تشير نحو السرداب: سندفنه بكتب معرض «دور الكويت في التنمية العربية» أشارت لطيفة برأسها بالإيجاب ساخرة: نعم وللاسف الشديد، في إشارة إلى دفن أحد الجنديين الذين انتهاكوا حرمة بيتهم ولقبا حثفهما على يدي بعضهم البعض نتيجة شجارهما على عدم التزامهما بإنفاقهما فسي ليلتهما الحمراء حول الخادمة الآسيوية المغلوبة على أمرها. ولعل الجمع بين اسم المعرض «دور الكويت في التنمية العربية» وكتاب «أمة عربية ذات رسالة خالدة»، أراد توظيفهما الكاتب في حوار المدرسات الثلاث لإبراز شعار حزب البعث العربي الاشتراكي «أمة عربية ذات رسالة خالدة» من يدعي مضمون الشعار وهو الذي خطط لجريمة الاحتلال فهذه المفارقة كانت عابرة في البداية وخاصة دور الكويت في التنمية العربية، إلا أن سير الأحداث وتقدمها صوب محور الرواية فتركز تفاصيلها على دلالات لعبارات: عالم المعرفة، تقارير اللجان الخيرية، تقارير المساعدات المالية وإنشاء الجامعات، لترد لطيفة على أم حمود التي تحسرت على نظافة الكتب: لا يهم، لا تأسفي على خير فعلته بالماضي، يجب أن نتعامل مع الرب وليس مع الإنسان.

عاد الكاتب في الفصل الأخير ليوظف سراج الكبروسين والإبراج الثلاثة الحديدية والجمال كربط للقديم بالحديث وذلك عبر أقدم «رجاء» على رمي الجندي العراقي ويكفل قوة بالأبراج المديبة حتى اخترقت صدره وتلقى بالسراج داخل غرفة خشبية على سطح البيت «المشتعل» «ذا لايت هاوس» ليصل إلى نهاية روايته باستدلال طائرت التحالف بنور البيت ويكون نقطة «الارتكاز» التي التقت عندها القوات البرية الأولى التي أبلغها قائد الطوافة بوجود ثلاث نساء سطح «البيت المشتعل» - الفتار - ليكون المكان معلماً لإرشاد الأولى لدخول المنطقة الغربية بـ «ذا لايت هاوس» التي تقدمت نحوها قوات التحالف وتجمعت القوات الفرنسية والمصرية والسعودية والإماراتية... وقوات المقاومة الكويتية الأرضية فتبدد الظلام بانوار الفجر وشعلة التحرير.



هيثم بوادي



غلاف الرواية

الرواية استعراض للحياة الكويتية أواخر العشرينيات ومطامع الغزاة في التسعينيات وتجسيد حي لدور المرأة الكويتية في أيام الفوضى وأثناء المقاومة

التحرير يبرز من جديد لترى الصديقات الثلاث من على سطوح «البيت المشتعل» علم الكويت على ذيل الطائرة، قائد الطوافة يرى باب السطح يفتح ويندفع أفراد المقاومة يتراخضون نحو النساء الجريحات. أما مصدر الأسقاط فيبجل في الفصل الثالث وعبارة نظرت إلى جرحها النازف وهي تسمع اقتراب الخيول وصياح الفرسان وهم يطلقون النار من فوهات بنادقهم، ما أيقظ سكان القرية القريبة الذين انتبهوا إلى ضوء الفتار الأحمر، فأخذوا بتصايحون، ويتجهون راكضين إلى الفتار، كانت تنظر إلى أفق البر الكبير، تنتظر الشمس التي ستعلن قدومها والفجر وهو يولد من جديد.

رواية الكاتب هيثم بوادي «الفتار» تضم 179 صفحة من القطع الصغير وبلغت عربية سلسلة تلعب على زمن يوعي لأن أحداثها تتقاسمها فترتان من تاريخ الكويت فمن عام 1928 و1990 والشخصيات تتحرك في زمن متسارع، تقوده حساسية الأشخاص واندفاعهم للحياة والأمل. الزمانان يتداخلان في فصول الرواية التي يمكن أن نقسمها إلى جزأين تتمثل فيها الفصول الثلاثة، بالجزء الأول فيما تتمثل الفصول الـ 17 بالجزء الثاني الذي تتعاقب فصوله باستطراد بطريقة «فلاش باك» حيث يعيد سرداً من بعض قصة «الفتار» التي قرأتها لطيفة وأخبرت بعضاً من فصولها لصديقتها أم حمود ورجاء، وكان التاريخ يعيد نفسه ليربط الكاتب الكويت القديمة بالحديثة في هذه الحكاية.

لذلك فالرواية ذات مستويين فرضت أقصى التركيز على مراحل

الذي تنطلق منه راحة الوقود»، وفي الفصل الثامن نجد «كان الباب الخارجي لبيت النساء الثلاث يتعرض لمحاولة فتحه من جنديين عراقيين كانا مخمورين، صاح أحدهما بأن هذا البيت به رائحة كيروسين، وقام يبحث عنه حيث يجب أن ينبروا شيئاً منه حتى ولو في أثناء لعله ينبر ليبلغهم الحمراء، وما زال الآخر يداعب الخادمة الآسيوية المتمنعة بالباكية».

يختم الراوي حكاية - المرأة - أو الكويت القديمة وتحديداً في الفصل الثالث وهي مصابة في خاضرها بطعنة من لص الوقود وتحاملت على نفسها ووقفت تنظر إلى الجد الجريح وعلى القائد مرمياً بلا حركة بعدما أصابه الجد المريض يطلق ناري، أخذت تتقدم ببطء إلى الفتار القريب يتبعها ابنتها باكياً، تمسكت بالسلم الحديدي، أخذت تصعده درجة درجة وهي تقاوم ألم جرحها الغائر، وصلت والدعاء تنزف منها، أخرجت الألواح الزجاجية الحمراء، تحول لون أضواء الفتار إلى الأحمر يلف الأفق مطلقاً ضوء الإنذار.

الحديث عن هذه الفقرة يحيل القارئ إلى نهاية الرواية والبيت المشتعل «ذا لايت هاوس» الذي توجد على سطح المدرسات الثلاث أم حمود، لطيفة ورجاء» ينقذ أحداثيات الموقع من البيت المشتعل ويزودها لطائرت الهليكوبتر القادمة.

نجد عبارة «كان الليل يأذن بالرحيل» في نهاية الفصل الثالث الذي يشمل الجزء الأول من الرواية، و«أنوار الفجر تبدد الظلام» في الفصل الـ 20، وفي نهاية الرواية أيداناً بقدم يوم جديد ونور

بشري الزين لا يمكن لمن يعتز بتاريخ وطنه ويطولات أبنائه عبر فترات متعددة سوى أن يسيطر أمجادهم بمداد من ذهب، وينقش أسماء الأبطال بدمهم الطاهر على أرض بلد - بل يكن يوماً بلد اللؤلؤ أو البترول، بل بلدا كافي يعيش وقاوم ليبقى رغم الفقر والجوع والأوبئة والحروب - عبارات تختزن ما تحمله رواية «الفتار» لصاحبها هيثم بوادي، الصادرة عن دار «السندباد» وتتعرض للحياة في الكويت وتحديداً في أواخر عشرينيات القرن الماضي وفترة الغزو الصدامي الغاشم، لتبرز معاً مطامع الآخر في ثروة هذا البلد.

الرواية التي تتألف من 20 فصلاً ركز فيها الراوي وعبر الفصول الثلاثة الأولى على دور المرأة الكويتية في تلك الفترة وأثناء غياب رب الأسرة في رحلة الغوص والبحث عن الوقود.

الفتار، السراج، الفتانوس مرادفات دلالة الضوء ليظل محور الرواية وشعلة لا تنطفئ، كما هي الكويت ورمزية تحمل دائماً ضياء النصر وفتيلة الاستنارة وهداية سبيل العابرين على ساحل الكويت - لودان 1928 كما استهل الكاتب روايته «كانت الشمس تأذن بالغيب والأفق الأحمر يغطي ساحل لودان جنوب الكويت... وبدا الفتار مرتفعاً على الساحل شامخاً يعانق السماء... تتناثر حوله بيوتات الصيادين الطينية».

ثم ينتقل إلى بطلته الرواية في فصولها الثلاثة وحكايتها مع الوقود والدافقة (لمصوب البحر) يتابع الكاتب: يجب عليها اليوم أشغال الصندوق الزجاجي للفتار في ظل غياب زوجها ليومين لإحضار مزيد من الوقود من الكويت.

حملت صفحة الوقود وهي تتجه إلى الفتار يتبعها ابنها الصغير ذو السنوات الثلاث. أخرجت من جيبها خرقة تنظف بها الزجاج المضيء وتصر بها على الألواح الزجاجية الحمراء الدالة على الخطر والمركونة جانباً. يأتي العدد ثلاثة في الفصول الأولى لتقابلها شخصيات ثلاث نساء في الفصول المتبقية من نص الرواية وهي أم حمود، ولطيفة ورجاء، في بداية الرواية لينتقل إلى البترول، الغاز، الكبروسين في الفصول الأخرى دلالة على آتسار النفط وما تعرضت له من احراق من طرف المحتل.

الزمان والحياة

الزمان لدى الكاتب آزاد من خلاله سرداً موجزاً للحياة في الكويت القديمة عبر زمنين لينتقل إلى فترة التسعينيات والحياة الحديثة ويركز على السراج والضوء كرمزية لشعاع الأمل وبزوغ فجر النحر من الاحتلال.

الغلافية التي كانت سمة الإعداد لدى الكاتب، تتكرر دائماً حيث ترتبط بكل الأحداث فيقول «حل الغلام على الساحل وأخذ الفتار يرسل نوره مرشداً السفن البعيدة للبر، لكنه في الوقت نفسه أصبح دليلًا للدافقة... لمصوب البحر... الذين يهاجمون القرى الساحلية يسرقونها، وكانت سفينة للمصوب الشراعية الصغيرة تتوقف في عرض البحر تراقب الساحل عن كذب تنتظر اشتعال «الفتار».. كان الثلاثة في سفينتهم الصغيرة ينتظرون الوقت المناسب للسرقه.

يعود هيثم بوادي ليربط دخول القوات العراقية المحتلة لأرض الكويت في العام 1990 بأمر من الرئيس المجهور صدام حسين بعبارة استهل بها الفصل الثاني من الرواية «انتصف الليل وغاب القمر» أصدر القائد أوامره وهو يمسح شاربه الكح ويثب خنجره ويتناول بندقيته، مراكه أنه قد حان الوقت المناسب، وعليهم الآن النزول للقارب الصغير، وكان الكاتب يحاكي تلك الفترة بفترة الاحتلال.

لم يغيب دور المرأة الكويتية في المقاومة والنضال، بل كان حاضراً وبقوة في فصول الرواية كلها بدءاً من مقاومتها للمصوب البحر الذين حاولوا اسرقة صفائح الوقود واندفاع أم حمود ولطيفة ورجاء في فصول الرواية لمقاومة جنود الاحتلال العراقي حيث سطرن أروع ملاحم البطولة للدفاع عن أنفسهن.

وظل الوقود الكبروسين، البترول، مصدرنا لطمع الآخرين حيث نجد في الفصل الثالث «كان القائد قد نجح في كسر قفل باب المخزن

«السلسلة العربية: قلوب صغيرة»

حصرياً في رمضان

قلوب صغيرة... لماذا...؟

قلوب صغيرة... هو صرخة مؤلمة تتمنى أن يصل صداها...

يومياً التاسعة مساءً

بطولة
سلوم حداد
بارا صبري
أمل عرفة
منى واصف

تأليف: نورا فليحان
إخراج: عماد رمضان